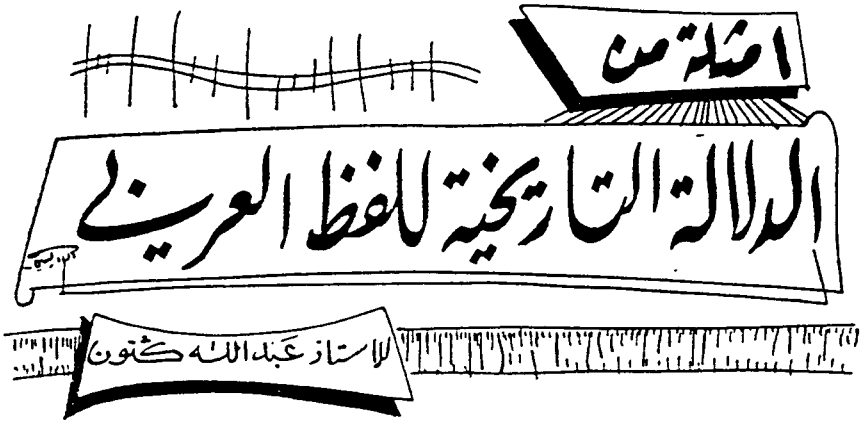

عضو مجمع اللغة العربية (القاهرة)

القنـــداف

قرات من مدة طويلة فى القنراف كتاب المدارك للقاضي عياض اثناء ترجمته للامام مالك ، والكتاب من امهات كتب التراجم لعلمـاء المالكيـة وهو ما يـزال مخطوطا غير مطبوع كما لا احتاج ان اقول ، قرات مـا يلـي :

« قال ابو مصعب قال لنا المغيرة تعالوا نجتمع ونستذكر كل ما بقي علينا مما نريد أن نسأل عنه مالكا فمكثنا نجمع ذلك وكتبناه فى قنداق ووجه به المغيرة اليه وسأله الجواب فأجاب فى بعضه وكتب فى الكثير منه لا ادري . فقال المغيرة ياقوم لا والله ما رفع الله هذا الرجل الا بالتقوى من كان منكم يسأل عن هـذا يرضى أن يقول لا ادري ؟

وقرات فيه هذه النبذة ايضـا :

« قال القطان لما مات مالك رحمه الله خرجت كتبه فأصيب فيها قنداق عن أبن عمر ليس فى الموطـا منه شـيء الا حديثـان .

وهذه النبذةالثالثـة :

« قال عتيق : قال مالك أخذت عن ابن شهاب تسعة قناديق فى بطونها وظهورها . ان منهـا اشيـاء ما حدثت بها منذ أخذتها بالمدينة .

واخيـرا قرات هذا الخبـر :

« لما دفن مالك أخرجت كتبه فاذا فيهـا سبـع قناديق من حديث ابن شهاب ظهورها وبطونها مـلأى وعنده (1) قناديق وصناديق مـن كتب أهل المدينة . فجعل الناس يقرأون ويقولون : رحمك الله ابا عبد الله ، لقد جالسناك دهرا طويلا فما رأيناك ذاكرتنـا بشـيء من هـذا .

وقد استوقف نظري فى هذه الجمل لفظ قنـداق وجمعه قناديق ، ولـم اكـن سمعت بـه من قبل ، فرجعت الى لسان العرب فوجدته يقول : « القنداق: صحيفة الحساب)» ولم يذكره فى القاموس ، لكـن صاحب التاج استدركه عليه بهذه الصورة :

« ومما يستدرك عليه القنداق صحيفة الحساب كما فى اللسان واورده المصنف تبعا للصاغاني فى فندق (هنا موضعه) وقد رجعت الى القاموس فى فصـل الفاء من باب القاف فاذا نصه : والفنداق بالضـم صحيفة الحساب) وزاد عليـه فى الشـرح قولـه : « وقال الاصمعي أحسبه معربا قلت والمشهور بالقاف كما ياتي (2) » ثم رجعت الى اللسان فى فصل الفـاء من حرف القاف فاذا هو يقول : « الليث : الفنداق هو صحيفة الحساب قال الاصمعي أحسبه معربا » .

هملت من هذه الاقوال ان القنداق هو صحيفـة الحساب ولكن لا على سبيل القطع فان بعضها يجعله بالفاء بدل القاف فبقي علي تحقيق ذلـك ، ثم النظـر فى وجه تسمية هذه الصحف التي تخلفت عن مالـك والتي رفعت اليه وفيها مسائل الفقه والعلم بالقنداق وهو صحيفة الحساب ، وبعد ذلك معرفة أصلـه إذا كان معربا ، فان هذه الاقوال لم تنص على اللغة التي عرب منهـا .

وقد استنجدت بكتاب المعرب للجواليقي فوجدته قد ذكره فى باب الفاء ولم يزد شيئا علىقوله «والفنداق

---

(1) كذا بالاصل ولعل الصواب وعدة .

(2) اي فى فصل القاف من بابه . وهو النص السابقمما استدركه على المتـن .

صحيفة الحساب اعجمية معربة » وأملت أن يكون عند صاحب شفاء الغليل مزيد من علم يشفي غلتي فاذا هو لم يذكر اللفظ اطلاقا في حرف الفاء ولا في حرف القاف .

ازاء هذه المعلومات المضطربة والمراجع الشحيحة لم يبق أمامي الا اللجوء الى ارباب المعرفة باللغات الشرقية التي يظن ان العربية أخذت ذلك اللفظ منها ولما لم أحصل على جواب كاف قررت البحث في معاجم اللغات المشار اليها ، ولم يكن عندي منها الا معجم واحد صغير يسمى الدراري اللامعات في منتخبات اللغات وهو كما قال صاحبه محمد علي الانسي قاموس للغة العثمانية يحتوي على الكلمات التركية والالفاظ الفارسية والافرنجية المتداولة في تلك اللغة ، مطبوع في بيروت سنة 1318هـ ، وقد جاء فيه اثناء حرف القاف ما يلي :

« قونداق : مشدود ، قماط ، لفافة ، مؤخر البارودة . شعلة ثم زاد قائلا :

« قوناقجي : مصلح البوارید ، محرق » .

ونستفيد من هذا النص ان التعريب الذي حصل في لفظ الكلمة هو حذف الواو من بعد القاف ، وان صحيفة الحساب ليس من جملة معاني اللفظ وقد نقلت كلام هذا المعجم في القوناقجي لانه كان عندنا في طنجة اسرة من قدماء مهاجري الجزائر اسمها العائلي هو القناقجي ، وكان بعض الناس يحرفه الى الخندقجي فكلمت رئيسها يوما في ذلك وكنت اعتقد أن الخندقجي صواب وانه نسبة الى الخندق ، فقال لي بل هو بالقاف وانه يرجع الى احدى الصنائع المتعلقة بالبندقية او المكحلة كما نقول نحن في المغرب للبندقية . وقد صحح هذا المعنى النقل المذكور من قاموس اللغة العثمانية ، وبين لنا ان تلك الصنعة تتعلق بخشبة البندقية التي عبر عنها في هذا القاموس بمؤخر البارودة وعن صانعها بمصلح البوارید » .

وبعد هذا أوقفني الاخ الاستاذ محمد الخالصي من افاضل علماء بغداد على النص الآتي من المعجم الفارسي « فرهنك نفيسي ج 4 ص 2713 : » قنداق من التركية : الخشبة توضع فيها انبوبة البندقية . الخرقة تلف بها يدا الطفل ورجله وتشد بشريط .

ثم على نص آخر من معجم فارسي لسيد محمد علي، اسمه (فرهنك نظام) ج4 ص 142 وهو «قنداق: محرف غنداغ » .

ونقل التفسير الآتي عن هذا المعجم في لفظ غنداغ من ج 3 ص 747 ونصه :

« غنداغ : الخرقة يلف بها الطفل الرضيع ، اصل الكلمة في السنكريتية بمعنى اللف » .

ولاحظ الاستاذ الخالصي ان كلمة غنداغ لا تزال مستعملة في اللغة الفارسية الدارجة بمعنى القماط الذي يلف فيه الوليد وقد تلفظ قنداغة او غنداغة ، كما ان العراقيين ما زالوا يطلقون على اخمص البندقية كلمة القنداق .

هذا فيما يتعلق بالقنداق بالقاف واما الغنداق بالغاء فقد نقل لي الاخ المذكور من المعجم الفارسي (فرهنك نفيسي) قوله عنه في ص 2589 من الجزء الرابع انه (نامة حساب) وترجمتها ورقة الحساب .

فيؤخذ من هذه النصوص ان القنداق هو غير الغنداق ، وان الاول اصله الغين وقد حرف الى القاف وعرب بالقاف خلاف الثاني فانه بالغاء اصلا .

أما من حيث المعنى فان الذي يطلق على صحيفة الحساب هو الغنداق بالغاء كما اقتصر عليه معجم فرهنك نفيسي ولم يذكر هذا المعنى لذي القاف هو ولا صاحب الدراري اللامعات . وعليه فان المجد الفيروزبادي على صواب في ذكره في فصل الغاء من باب القاف بهذا المعنى مقتصرا عليه تبعا للصاغاني كما قال صاحب التاج . واعتراض هذا عليه بأن موضعه القاف وانه هو المشهور غير صحيح .

ويتأيد هذا بذكر الجواليقي له في الغاء غير متردد كما تردد ابن منظور حين ذكره في الحرفين معا.

وعلى كل حال فنحن نطلب تفسير لفظ القنداق الذي ورد في تلك العبارات المتعددة من كتاب المدارك بالقاف افرادا وجمعا ، ومعنى ورقة الحساب بعيدة عن المراد به فضلا عن أنها انما تفسر ذا الغاء وليس هو مطلوبنا .

ونرى أن ما ورد في تفسير القنداق من انه القماط واللفافة وقول صاحب معجم (فرهنك نظام) أن اصل الكلمة في السنكرتية بمعنى اللف ، يوحي لنا بأنهم كانوا يطلقون اللفظ على الصحيفة التي تلف وتلوى كالانبوبة والجعبة ، وان هذه القناديق التي وجدت في تركة الامام مالك أو التي وجهت اليه كانت صحفا مكتوبة تارة من وجهين وتارة من وجه واحد وهي ملفوفة كما يلف القماط على الوليد وذلك على مثال ما لا يزال الكثير منا يفعله في الوثائق والخرط ونحوها . وهو من مجاز التشبيه كما لا يخفى .

ان هذا هو ما وصلت له بعد البحث الدقيق في معنى هذا اللفظ واذا كان عند أهل الذكر شيء غير هذا فليخرجوه لنا مشكورين .

التقييم

كثر استعمال هذا اللفظ في الايام الاخيرة ، وخاصة من النقاد المحدثين كثر ملحوظة تنبىء عن الاصرار على مخالفة القياس به ، وعدم الأخذ بتوجيهات علماء النحو والصرف الذين لم يفتأوا ينبهون على خطأ ذلك الاستعمال ، ويبينون أن صوابه هو التقويم بالواو لا بالياء .

ويظهر أن الادباء والنقاد من الجيل الجديد وجدوا له جرسا يتلاءم مع ما يدعون اليه من مذاهب جديدة ، ودلالة ادق على التجارب التي يستهدفون تقديمها للناس .

ان التقويم في نظرهم اصبح عملية تختص بتقدير المثمنات وقياس المثليات على ما يفهم من كلامهم ، أما الاعمال الادبية والمذاهب الفكرية فان وزنها وتحليلها يجب ان يعبر عنه بلفظ آخر يكون اكثر استجابة للبواعث المعنوية والمعايير الفنية ، وليس هو الا التقييم .

لست بصدد مناقشة هذا الراي ، ولكني احب ان الفت النظر الى نص قديم ورد فيه هذا الاستعمال ، ولم يثر كثير اهتمام من الذين تناولوه بالشرح مع انهم جميعا من أهل العلم الذين لا يخفى عليهم أمره . وهذا النص هو اثر روي في صحيح البخاري عن الزهري في كتاب الاكراه وبالضبط في باب اذا استكرهت المراة على الزنا . وهو : « قال الزهري في الامة البكر ، يفترعها الحر ، يقيم ذلك الحكم من الامة العذراء بقدر قيمتها ويجلد . »

وانا وان كنت لا أجهل ما قيل في الاستشهاد بالحديث على مسائل النحو واللغة ، واعرف ان لفظ الشاهد يحتمل قراءتين ولعلهما روايتان : يقيم (المهموز) ويقيم (المضعف) فاني اسوق هنا ما كتبه شراح البخاري على هذا اللفظ واستخلص منه النتيجة الطبيعية التي يؤدي اليها .

فالقسطلاني لم يزد على ان فسر يقيم بيقوم (المضعف) وابن حجر قال: «ومعنى يقيم يقوم» أما العيني فنص ما كتب : « قوله يقيم ، قال الكرماني ويقيم اما بمعنى يقوم واما من قامت الامة مائة دينار اذا بلغت قيمتها : » وبقية الشراح الذين راجعناهم لم يتكلموا على اللفظ اصلا ، فكأنهم مسلمون له ، كما ان الآخرين وجهوه ولم يعترضوه .

1 — وازيد على هذا قول الفيومي في المصباح: « قام بالامر يقوم به قياما فهو قوام وقائم ، واستقام الامر ، وهذا قوامه بالفتح والكسر . وتقلب الواو ياء جوازا مع الكسرة اي عماده الذي يقوم به وينتظم. ومنهم من يقتصر على الكسر ومنه قوله تعالى (التي جعل الله لكم قياما) ..

فقد قلبوا الواو ياء مناسبة للكسرة مع ان التصحيح لا ينافيها وهو وارد معها ومع الفتحة .

2 — وقال الفيومي ايضا : « وقام المتاع بكذا اي تعدلت قيمته به . والقيمة الثمن الذي يقاوم به المتاع اي يقوم مقامه ، والجمع القيم مثل سدرة وسدر، وشيء قيمي نسبة الى القيمة على لفظها لانه لا وصف له ينضبط به في أصل الخلقة حتى ينسب اليه ، بخلاف ما له وصف ينضبط به كالحبوب والحيوان المعتدل فانه ينسب الى صورته وشكله فيقال مثلي اي له مثل شكلا وصورة من أصل الخلقة .

والشاهد منه في قوله نسبة الى القيمة على لفظها يعني لانه لو كان نسبة لها على القاعدة النحوية المعروفة لقيل قومي بفتح ثانيه بعد رده الى أصله الواوي . وليس قوله لانه لا وصف له تعليلا لهذه النسبة وانما هو بيان لمعناها بدليل مقابلته بالمثلي ... وهذا اصطلاح فقهي كما لا يخفى ، فاذا صح للفقهاء ان يخالفوا قاعدة النسب في قيمي مع مثلي فلا مانع ان يصطلح الادباء على جعل تقييم بالياء وان خالف القاعدة لغرض بياني واضح .

3 — ثم اضيف الى ذلك ما جاء في البحر المحيط لابي حيان على الآية الآنفة الذكر (ولا توتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قيما) قال :

« وقرا نافع وابن عامر قيما وجمهور السبعة قياما وعبد الله بن عمر قواما بكسر القاف والحسن وعيسى بن عمر قواما بفتحها ورويت عن ابى عمرو وقرىء شاذا قوما ، فأما قيما فمصدر كالقيام (3) قاله الكسائي والفراء والاخفش وليس مقصورا من قيام. وقيل هو مقصور منه . قالوا وحذفت الالف كما حذفت في خيم واصله خيام . أو جمع قيمة كديم جمع ديمة قاله البصريون غير الاخفش ورده ابو علي بانه وصف في قوله دينا (4) قيما والقيم لا يوصف به ، وانما هو مصدر بمعنى القيام الذي يراد به الثبات والدوام. ورد هذا بانه لو كان مصدرا لما أعل كما لم يعلو حولا وعوضا لانه على غير مثال الفعل لاسيما الثلاثي المجرد واجيب بانه تبع فعله في الاعلال لانه مصدر بمعنى القيام فكما أعل القيام أعل هو . وحكى الاخفش قيما وقوما قال والقياس تصحيح الواو وانما اعتلت على وجه الشذوذ كقولهم ثيرة (5) وقول بني ضبة طيال

---

(3) في الاصل فمقدر كالقيام والقيام ونظن ان ذلك من خطأ الطبع .

فى جميع طويل وقول الجميع جياد فى جمع جواد ، واذا اعلو ديمـا لاعتلال ديمة فان اعلال المصدر لاعتلال فعله اولى . الا ترى الى صحة الجمع مع اعتلال مفرده فى معيشة ومعائش ومقامة ومقاوم ، ولم يصححوا مصدرا اعلوا فعله . »

ففي هذا الكلام اكثر من سند لاعلال تقييم . ولاسيما قوله الاخير ولم يصححوا مصدرا اعلوا فعله. وان كان ليس على اطلاقه ، ولكن يكفي فى الاعتضاد مجيء قيما بالياء من قام الواوي مصدرا قرىء به فى السبع .

4 — واخيرا قال فى لسان العرب بعد ان ذكر من اسمائه تعالى القيوم والقيام : وقال الفراء صورة القيوم من الفعل الفيعول وصورة القيام الفيعال وهما جميعا مدح ، قال واهل الحجاز اكثر شيء قولا للفيعال من ذوات الثلاثة مثل الصواغ يقولون الصياغ . وقال الفراء فى القيم هو من الفعل فعيل اصله قويم وكذلك سيد سويد وجيد جويد بوزن ظريف وكريم . وكان يلزمهم أن يجعلوا الواو الفا لانفتاح ما قبلها ثم يسقطونها لسكونها وسكون التي بعدها فلما فعلوا ذلك صارت سيد على فعل ، فزادوا ياء على الياء ليكمل بناء الحرف . وقال سيبويه : قيم وزنه فيعل واصله قيوم ، فلما اجتمعت الياء والواو والسابق ساكن ابدلوا من الواو ياء وادغموا فيها الياء التي قبلها فصارت ياء مشددة . وكذلك قال فى سيد وجيد وميت وهين ولين . قال الفراء ليس فى ابنية العرب فيعل والحي كان فى الاصل حيوا ، فلما اجتمعت الياء والواو والسابق ساكن جعلتا ياء مشددة » .

ثم قال فى جمع قوم : « والجمع اقوام واقاوم واقايم ، كلاهما على الحذف . قال ابو صخر الهذلي ، انشده يعقوب :

فان يعذر القلب العشية فى الصبا
فؤادك لا يعذرك فيه الاقاوم

ويروى الاقايم . وعنى بالقلب العقل .

فهذا الكلام كله يدل على تقارض الواو والياء فى هذه المادة تقارضا يكاد يكون اعتباطيا لا يرجع الى قاعدة ، مما يضطر العلماء معه الى التماس الوجوه والمخارج له ، فهلا يسع الذين يقولون تقييم ما وسع اجدادهم هؤلاء ؟

---

(4) اي فى قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي

(5) يعني فى جمع ثور .

شجب

جاء فى المعجم الوسيط ما يلي : شجب الشيء يشجب شجوبا هلك ، وفلان حزن والغراب شجيبا نعق بالبين وفلانا شجبا اهلكه ، ويقال شجب الصيد رماه بسهم فاصابه واعجزه عن الحراك ، وفلانا احزنه والشيء فلانا شغله والشيء جذبه، يقال شجب اللجام . وشجبه عن حاجته . وشجب القارورة بالشجاب شدها ..الخ

وهذه المعاني التي ذكرها المعجم الوسيط لشجب وما تصرف منه هي بعينها الواردة فى القاموس وغيره من معاجم اللغة . ولعلنا نلاحظ ان المعنى الوحيد الذي يستعمل فيه هذا الفعل بكثرة اليوم ، لم يرد فى المعاجم وهو شجب بمعنى انتقد وندد . يقال شجب الخطة او السياسة الفلانية يشجبها شجبا اي انتقدها وندد بها وهاجمها وحمل عليها . وهذا كثيرا ما يرد فى الصحف اليومية معبرا به عن المواقف المضادة التي يقفها مندوبو بعض الدول فى المنظمات السياسية من سلوك بعض الساسة والحكومات فى دول اخرى . وظاهر أن معنى هلك واهلك وحزن واحزن غير موافق للمعنى المراد هنا ، اللهم الا ان يستعار له معنى رمى الصيد الوارد لذلك الفعل وحينئذ فينبغي النص عليه فى المعاجم اللغوية الجديدة ، والا وجب (شجبه) اي هلاكه فعندنا ما يغني عنه مما ذكرناه كندد به وهاجمه وما الى ذلك.

وديان

لا يكاد الكتاب اليوم يستعملون فى جمع واد ، الا هذه الصيغة اعني صيغة وديان وهي صيغة لا قياسية ولا واردة عن العرب فى جمع هذا المفرد .. فجموعه التي ذكرتها المعاجم ثلاثة هي أوداء وأودية واودايـة ، ويمكن أن يزاد عليها اوداه بقلب الهمزة هاء فى أوداء وهي لغة طيىء . وصحف بعضهم الجمع الاخير وهو اودايةالىأوادية وانشد عليه. واقطعالابحر والاودية ، لكن ابن سيده نبه على هذا التصحيف وقال ان صوابه والاودايةبدليل ما قبله وهو قوله : أما تريني رجلا دعكاية .. فنحن اولاء نرى أن ليس بين هذه الجموع المنصوصة وديان .

واما القياس فقد اشار ابن مالك فى الكافية الى ما يجمع على-فعلان بقوله :

فعلان لاسم كفعال (1) وفعل (2)
وفعل (3) الواوي عينا وفعل (4)
وفي فعـــال (5) وفعال (6) قد يـــرد
كذا فعيل (7) وفعول قد وجد (8)
في فاعل (9) وفعلة (10) وفعل (11)
وفعلة (12) فعلة (13) وفعل (14)
في فعلان (15) وفعل (16) قد نقل
والثاني نـــادر ولكـــن احتمـــل

وهي ستة عشر وزنا ليس فيها وزن واد كمـــا نـــرى ، فمـــاذا اذن ؟

لا شك ان هذا الجمع غلط ، ولعله كان قياســـا من قائله الاول على مفردات الوزن الثالث مثل نـــار ونيـــران وغار وغيران وتاج وتيجان وجار وجيران ولكن هذه ثلاثية صحيحة اللام بخلاف واد .

اما سر انتشاره فيرجع فيما اظن الى الترجمة، لان المعجم الوحيد الذي اثبته هو معجم الاب بيلـــو الفرنسي العربي ، وقد اثبته في هذا المعجم بيـــــن قوسين اشارة الى التحفظ بشانه ، ولكنه في الفرائـــد الدرية الذي هو النسخة العربية الفرنسية من هـــذا المعجم حذف القوسين فبقي وديان على قدم المساواة مع الجموع الصحيحة ، فاعتمده التراجمة وسار هذه السيرورة التي غطت على غيره .

تحـــاشـــد النـــاس

هذا تعبير ورد في المدارك للقاضي عياض عمـــا نقول فيه اليوم تظاهر الناس . وانا لم اورده هنا الا لتسجيل الدلالة التاريخية التي مر بها للانتفاع بذلـــك في المعجم التاريخي للغتنا الضادية الذي ينوي المجمع اللغوي وضعه في المستقبل القريب اعانه اللـــه على ذلـــــك .

فقد تعرض القاضي رحمه الله لمحنة احد الفقهاء فقال : « ان الوالي ضربه وحبسه ، فتحاشد الناس ؛ وكان بعضهم يقع عليه ليقيه بنفسه .. واخرج اليهـــم الاجناد فضوهم » فتحاشد هنا قد استعمل في تمـــام المعنـــى الذي نستعمل نحن فيه اليوم تظاهر .. واما فضوهم فيغلب ان نقول بدله فرقوهم . ولكنه مستعمل ايضـــا .

التكميـــــد

وهذا لفظ آخر من وادي ما قبله .. وقفت عليه في كتاب اجوبة فقهية للقاضي عبد الوهاب ضمن مجموع في المكتبة الوطنية بمدريد يحمل رقم 4950 وقد تعرض فيه لضمان الصناع والكمادبالخصوص. واطلق التكميد على ما نسميه اليوم بكي الثياب وهو تعبيـــر اخواننـــا في المشرق او تحديدها وهو تعبيرنا في المغرب ، واطلق الكماد على المكوجي ، وكنت احسب ان الكماد فيمـــا اتى من اسماء بعض اهل العلم يرجع الى الكمـــــد والحزن .. فاذا به يرجع الى هذه الصناعة ولذلـــك سجلت هذه الفائدة ، وهي ايضا من الدلالة التاريخية للالفـــاظ .

---

(1) نحو غلام وغلمـــان .
(2) كصرد وصردان .
(3) مفتوح الفاء ومضمومها كتاج وتيجان وعود وعيـــدان .
(4) كخـــرب وخربـــان .
(5) كغـــزال وغـــزلان .
(6) كصوار وصـــران .
(7) كظليم وظلمـــان .
(8) كخروف وخرفـــان .
(9) كحائط وحيطـــان .
(10) كنســـوة ونســـوان .
(11) كقنو وقنـــوان .
(12) كبركـــة وبركـــان .
(13) كقضفة وقضفـــان .
(14) كضيف وضيفـــان .
(15) نحو كروان وكروان
(16) كضفـــن وضفنـــان .